لغة المسلمين ؟

للأستاذ محمد حسن الأعظمي

جهاد عشرين عاما متواصلة لا أفاخر به ولكني أحمد الله عليه وأستزيده التوفيق منه .

قال مستر غاندي يوما : « إن من الخير لسكان الهند ألا يلجأوا إلى اللغة الأردية لأنها تكتب بأحرف القرآن ، وهو كتاب المسلمين وحدهم . وعلينا أن نختار اللغة المحفوظة من الأمهات فقط وهي اللغة السنسكريتية ، وما كدت أطلع على هذا في صحف الهند العامة حتى أسرعت في اليوم التالي إلى الإجابة ، وقلت لمستر غاندي : « إن المسلمين ليس لهم أمهات سوى أزواج نبيهم عليه أفضل صلاة وسلام ، وهن أمهات المؤمنين ؛ ولغة أولئك الأمهات هي اللسان العربي المبين » ولما أذاع المستر غاندي مرة أخرى نداءه يدعو فيه إلى توحيد اللغة بين المسلمين والهنود أجبته بأن ذلك لا يمكن إلا بأن تتعلم لغتكم السنسكريتية مع لغتنا العربية . وعليكم أن تسلكوا إلى الوحدة هذه السبل نفسها ثم تكون النتيجة الحتمية لهذا . هي العودة إلى الأردية مرة أخرى ، فهي مزيج من اللغتين معاً إلا قليلاً من الفارسية والتركية . وإذا لم تصنعوا ذلك ولن تصنعوا فماذا أنتم قائلون إذا اصطدمتم بلغات تربوا على المائتين بين الشاطئ الهندوكي المتناثرة في أقطار الهند ؟ النتيجة الحتمية لهذا التعصب ضد العربية والأردية هي الاعتماد على اللغة الانكليزية — لغة أعدائكم — في التفاهم والمكاتبات . وهذا هو الذي حدث فعلا . فقد تخلص هؤلاء من الاستعمار السكري ليقعوا تحت سيطرة روحية من نسيج هذه اللغة الأجنبية منهم . فإن كنت في ريب من هذا أيها القارئ . فادخل إحدى السفارات الهندية لدى أي الحكومات إن شئت ، فأنت واجد فيها بين أفرادها سلطان اللغة الإنكليزية حاكما على قلوب الموظفين نافذ الكلمات في أفواههم وحديثهم ومخاطباتهم ؛ وإنها لهي معبودة الروح في غشاء رقيق من حرية الجسد .

أما أنا فقد رأيت أن أمشي على هذا الطريق مستوحشاً يقيني وإيماني واثقاً من أني فيما أدعو إليه سأذاق النصر والفوز . تركت الجدل الكلامي وأخذت أنشيء الجمعية العربية العامة في الهند ، وأتبعتها بإنشاء مدارس ليلية شبيهة بالمدارس والوحدات الليلية التي يعرف الجميع نشاطها بمصر . وكنت ومن معي من المؤمنين بفكرتي مثالا من النشاط الذي لم تكن فيه أقل من الثوريين على محاربة اللغة العربية واستبدال حروفها وإخراج ألفاظها .

ولكي نستبعد فكرة التعصب القبلي دعونا إليها كافة القرآن والإسلام . أما الآثار الأدبية لهذه الحركة المباركة فقد كان منها كتاب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والأردية إلى جانب عشرات من الكتب المدرسية . وكانت حيدر أباد الدكن مركزاً هاماً إلى ذلك الحين لنشر العربية ، إذا كان بحيدر آباد مائة ألف أو يزيدون من العرب أو من أصول عربية ، فلقيت الدعوة تشجيعاً وإقبالاً واسعاً . وقام على رياسة هذا النشاط أحد سلاطين الملكا العرب ، وما كدنا نقطع من مراحل الزمن سنة حتى انتشرت المدارس الليلية في جميع مناطق المدينة وشكلت الفروع المختلفة في الضواحي والأقاليم المتاخمة . وأنشئت كلية للغة العربية في العاصمة لتقوم بالتعليم على أسس درسية قيمة . ولكي يقطع هذا النشاط مدى بعيداً قررنا إلقاء محاضرات أسبوعية في حفلات متنقلة بين أحياء المدينة ، وكنا نرى إقبال الجمهور المتزايد يجعل الأمكنة تضيق بزوارها . وكانت تلك الحفلات أدبية مشجعة على مواصلة الكفاح العلمي والأدبي . ثم رأينا أن نجري مسابقات دورية تمنح فيها المكافآت والجوائز . ومما يثير العجب أن عدد الفائزين في آخر مسابقة بلغوا مائة من بينهم خمس وسبعون من الفتيات . وقد جرت المسابقة في الكتابة الإنشائية وفن الخطابة والإلقاء . وحاولت أيضاً في سبيل تيسير هذا التعليم أن أدعو إلى استبدال خط النسخ العربي بالخط الفارسي في الأردية .

أما حيدرآباد ومراكز الهند الأخرى بعد التقسيم فهي في ستار مغلق دوني الآن — فقد وليت وجهي شطر الوطن الإسلامي الباكستاني — ولقيت فيها الدعوة مكانا خصباً . فلعلي أستمد هذه الروح نحو تعليم العربية من أبناء شعب الباكستان الذي تشرف فيه الحكومة نفسها على الجمعية العامة للغة العربية . وأصبح خط النسخ العربي خطاً رسمياً في مكاتبات الدولة وأعمالها العامة .